الفصل التاسع

«حسان» أسند رأسه إلى الحائط وأخذ يضرب به، يصرخ مناجيا عاتبا نادمًا، أي شقاء أنت فيه، زلزال في داخلك . كيف تحملين عقلك كل هذا؟!

يبدو في ما تقولين أنه عين الواقع. أنتِ والفرح أعداء ونصيبك من القهر جعلك ترين كل إنسان يرتدي عباءة الشيطان يعود حسان يتابع القراءة»

وبعدها تركت المدرسة وبحثت عن عمل ولم أجد عمل بسهولة. ليس لدي شهادة، رسبت لسنتين في امتحان الشهادة الثانوية ولا أتقن عمل أي شيء، كان لأبي بعض العقارات نأخذ ممن استأجرها مبلغا شهريا، لا يكفينا قوت يومنا قررت أن أتعلم أعمال السكرتارية؟؟ وفعلا التحقت بمركز تعليم. وخلال شهرين

obeikandl.com

نلت شهادة تخولني العمل بإحدى الشركات الخاصة. كان هناك صديق مقرب لوالدي منذ زمن، هو من حاول مساعدتي لتعييني بإحدى الشركات. تسلمت العمل بتلك الشركة، كان نشاطي واضحا للجميع، وبعد فترة لا تقل عن سنتين في العمل أصبح لدي رصيد ليس بقليل لدى أصحاب الشركة. تسلمت قسم العلاقات العامة لنشاطي وعلاقتي القوية بالعملاء، هذا لفت انتباه المدير.كان يريد أن يعرف من هي حياة التي يتردد اسمها كثيرا في شركته، هي موظفة عنده منذ زمن ليس بالقصير، ولم يتح له التعرف عليها، ربما لأنه يسافر كثيرا.

كنت على رأس عملي صباحًا أرشف قهوتي الصباحية وأسمع أغاني لفيروز قبل مباشرة عملي، وهذا ماكان يميز مكتبي عند العملاء تغريد صوت فيروز بأغانيها المحببة لجميع الأذواق وملاطفتي لهم وسرعة الإنجاز، رن جرس الهاتف وكانت سكرتيرة المدير، تبلغني أنه يستدعيني الى مكتبه، أغلقت سماعة الهاتف ورتبت بعض الأوراق وذهبت لغرفة المدير، دخلت الغرفة لم يكن في غرفته، جلست بالكرسي المقابل للمكان الذي يفترض أن يجلس فيه، كانت الغرفة أنيقة جدا فيها من الفرش الأنيق الذي يدل على ذوق صاحبه، بعض الشهادات على الجدار، وباقة من الزهور على مكتبه منسقة ورائحته تملأ المكان، تفحصت الغرفة بكل ما فيها، بعد نصف الساعة دخل من الباب الخلفي للغرفة رجل طويل القامة، نحيل الجسم، أنيق الهندام، له عينان جميلتان فيهما الكثير من الجرأة،

نظرته حادة، ذات طابع خاص، لابل أكثر فيهما بريق يوحي بذكاء والثقة بالنفس، نظر إليّ ولكن ابتسامته لم تكن تحمل تلك السمة المعهودة من أي رجل حين يود أن يعرف نفسه أمام فتاة.

لم أكن أقل منه بل العكس تمامًا، أظهرت لامبالاة، واستهتارًا واضحين.

- هل أنت حياة..؟

لم أجب بل أومأت برأسي، حول نظره عني باستغراب ودهشة، وربما كان استنكارًا.

- هل عرفت من أنا..!؟

- لا لم أتشرف..وتابعت دون أن أترك له مساحة من الوقت ليجيب، ماذا تفعل هنا؟

- من أنا..انتظري على رسلك، ألا تعلمين من طلبك، وأنك الآن في غرفة المدير.

أعلم أنها غرفة المدير وأنا على موعد وأنتظر قدومه، هل أرسل في طلبك أيضًا؟يبدو أنه اجتماع تفضل بالجلوس وانتظر معي سيادة المدير، لم أوجه نظري إليه، إلى أن جلس وراء المكتب وأشعل سيجارته، كنت أنظر إليه، لم يدعني أنتظر طويلا أردف قائلًا،

- منذ ذمتى تعملين هنا؟

- مؤكد قبل أن تعمل أنت، ولكن لم أتجرأ وأجلس على مكتب المدير

-أنا السيد المدير..

حضرتك السيد المدير..!!

تخيلت المدير رجلا كبير السن أشيب الشعر له كرش كبير،

أعتذر لجرأتي ولكن لم أتوقع أن يكون المدير شابا.

-هل أزعجك هذا.يبدو أني خيبت ظن الآنسة ...

- لا ليس تمامًا، هي مجرد توقعات، مدير شركة بهذه المكانة وتلك الإنجازات هي ماجعلتني أتوقع أن تكون بتلك الصفات ولكن

هل صدر مني تقصير بعملِ حتى استدعيتني... وأكرر أسفي لطريقة الكلام اعذرني لم أتشرف بك من قبل.

ابتسامة فيها بعض الغرور ارتسمت على وجهه وقال:

لك الحق كان يجب أن أعرف بنفسي فور دخولي لابأس، أنا أحمد المدير المباشر لك منذ اليوم.

«لم يجد جوابًا أو أي ردة فعل،»

-أجبته ببرود رغم أن بداخلي قد راق لي هذا القرار كثيرًا.

- لا أبدًا هذا شرف لي والعمل هو العمل.

تبادلنا أطراف الحديث، كلمني عن طبيعة عمله وأسفاره المتكررة، سمعته باهتمام، واستأذنت منه بعد انتهاء الحديث عدت لمكتبي

وفي داخلي شعور بالتفوق على نفسي كانت تلك ترقية لم أفكر بها، انتهى اليوم وذهبت للبيت نشيطة متفائلة، كانت لمى بالبيت مضى علينا وقت لم نجتمع إما أنا خارج بيت أوهي، كنا نهرب من الحديث معًا، لمى من النوع الكتوم جدا، وتفضل الحديث مع صديقاتها وتقديم النصح لهم، كانت قريحة الكلام نشطة، أشعر بشهية كبيرة للكلام.كنت قد أحضرت معي وجبة طعام من السوق وضعت الطعام على الطاولة بمرح وناديتها هيأريد أن نأكل معًا تقدمت وهي تضحك.

أنتِ اليوم على غير طبيعتك مبكرة في الحضور للبيت وطعام، وابتسامة مشرقة شيء يثير الريبة والدهشة.

- لاشيء سوى أني اشتقت لك.

تبادلنا أحاديث متنوعة، إلى أن جرنا الحديث وبادرت بسؤالها:

– لمى هل تعلمين شيئا عن والدتك

–منذ غادرتنا لم أسمع عنها شيئا.

– لقد اشتقت لها رغم كل ما حدث، يبدو أن الزمن يمحو ما تخلفه الأحزان من أحقاد، تخلق الهموم والمشاكل كبيرة لدرجة أن العقل لا يستوعبها، بمرور الوقت تتلاشى وتصبح أخف، لا بل أكثر يبدو أننا نصل لحد نبحث لهم عن تبرير لأخطائهم التي كانت لنا في ذلك الوقت بمثابة الكفر الذي لا غفران بعده، الآن أفكر بطريقة مختلفة تماما والدتنا جميلة جدا وذكية جدا وأنا لا أستطيع أن أضع كل اللوم عليها إنها بالنهاية أنثى، وبحاجة لرجل يشعرها بذلك وأنت تعلمين وضع والدنا العمل أرهقه كان يأتي إلى البيت ليأكل وينام ليس بينهما حوار من أي نوع وهي سيدة تحب الحياة أجابتني لمى بسخرية:

– وهل والدنا رجل سيء. كان يفعل كل ما يرضيها دون تململ ولكنها كانت تنظر إليه على أنه أقل منها وأنها دائما تستحق الأفضل، والدنا قتل قهرا ولم يمت.

وهو له يد بما حدث، لماذا بقي معها وعرضنا لكل هذه الأمور. ألم يكن من الممكن أن يطلقها. قاطعتني بانفعال..

– من أجلنا لم يفعل هذا.. والدنا إنسان يملأ قلبه الحنان والحب. حتى لا يحرمنا من العيش باستقرار.. لا تحاولي إقناعي أن لها عذرًا للخيانة. أو أن تركها لنا بحجة أنك تريدين قتل زوجها

وكونك خيرتيها بيننا وبينه، أتى هذا على هواها، لم تحاول حتى السؤال عنا، هل عندك علم أين تقيم؟!ماهو وضعها؟!والدتنا نرجسية بطبعها لابد تمضي أجمل أيام حياتها.

لا أعلم كيف مضت تلك الأيام دون أن نسأل عنها كيف نسينا أنها كانت أمًا لنا في صغرنا، كانت تهتم وتعتني بنا وتعمل أي شيء لتسعدنا

بعصبيةٍ وغضب تقف لمى...

أنك تبالغين في الدفاع عنها بل قد نسيت ما حدث..؟

أنسيت أنها صدقت ذلك الوحش وكذبتنا لا لشيء إلا لأنها اعتبرت هذه فرصة لها حبيب في حياتها أغلى من بناتها وحياة زوجها الذي مات قهرًا وحزنًا وذلًا

ألم أقل لك ذلك قبل وفاته بأيام كيف كان يجلس والدموع في عينيه قال لي: لقد قهرتني أمك.

– حبيبتى لمى الروح والجسد في صراع كما القلب والعقل، والغلبة دائما عكس كل هذه الصراعات هل وصلكِ ما قصدت. كان داخل والدتنا صراع لا أحد يدري بالعذاب الذي كانت تعاني منه سوى الله.

حياة من أين أتتك كل هذه الفلسفة والحنان، يبدو أني لم أعد أعرفك.

- ربما كان لديك بعض الحق فيما تقولين. وأنا من أردت لها أن تخرج من حياتي لأنه احتلها وتمكن من قلبها فلم تعد لنا أمًا. لو لم يكن موجودًا لكانت أجمل أم في العالم وأحن من الحنان نفسه.ربما كما تقولين أن فلسفتي بالحياة قد تغيرت هي لم تتغير حبيبتي إنها موجودة في داخلي ولكن العمر والمعرفة جعلتها تنمو حتى أستطيع التعبير عنها، يجب علينا أن نوجد تبريرًا لتصرفات الآخر. الأمر الذي جعلني أبتر ذلك المرض من حياتنا خوفا من شيء ما حينها.

لم أكن أعرف ما هو هذا الشيء بوقتها.أما الآن فأنا مقتنعة تماما بما قمت به.وتأكدت من المقولة «ليس كل ما يبتر يؤلم وليس كل ما نملك يبهج» أتمنى أن يكون قد وصلك ما أريد. ربما كان وضعنا وبتر علاقتنا بوالدتنا.رغم الألم هو خير لنا.

لا نعلم لو بقيت إلى أين سوف تسير بنا تلك الأحداث المريرة ربما كان المرض تغلغل بأنحاء روحنا. وربما لا بل مؤكد كان أحدنا قاتلًا والآخر مقتولا.قبل أن نصل لمرحلة فقدان العقل كان لابد من الفصل -هل أنت حياة حقا؟!

هل من الممكن أن تكون مرت تلك السنين ولم أنتبه أنك كبرت رغم اللمبالاة التي تظهرينها. فأفكارك مرتبة وتناقشين بموضوعية يبدو أن البنات فوق الخامسة والعشرين تظهر عليهن علائم النضج بغض النظر أني غير مقتنعة بما تقولين.

-هل كنت بالنسبة لك فتاة لا يعنيها إلا المرح وإهدار الوقت وغير مبالية. ربما ما تقولين صحيحًا ولكن هذا الوقت ليس فيه شيء يدعو للمرح . أنا بحاجة للحديث بموضوع والدتي يبدو أني في شوق لها لا يعني مرحي استهتارًا. ليس كل ما نفعله للتسلية أو تمضية الوقت بلا معنى قد تكون محاولة منا لنجد سببًا لاستمرار الحياة طالما رغبنا بالرحيل عنها بلا جدوى أم لك رأي آخر؟

- لا ولكن مايدهشني شعوري بأني أكلم فتاة لا أعرفها ما الذى تغيريا حياة..؟ ومن أين جئتِ بتلك الحكمة يبدو أنك كبرتي دونَ أن أنتبه.

- طبيعي لمى العريس قد أخذ كل وقتك منذ خطبتك ولم يعد هناك شيء يستحق اهتمامك.

لا تهتمين حبيبتي «ليس حسدًا ولا غيرة منك بل هما الاثنان معًا» و ضحكت ضحكة لا تخلو من السخرية.

- الآن عدت لطبيعتك كنت أظن أني أكلم أحدا غيرك الحمد لله عادت حياة فأنا على يقين أنك تكرهين عمك ووالدتك وأردتي

قتلهم لولا إصابتك بانهيار عصبي حينها أعلم أنها رغبة بداخلك على الرغم من أنك لا تستطيعين فعلها لكن تلك الرغبة لا تأتي عن عبث.

- حبيبتي لمى خذي مني هذه آخر حكمة أقولها لك ربما أفادتك في المستقبل «إذا كنتِ عاجزة عن قتل من تدّعين كراهيته أو تراجعتي عن ذلك فلا تدّعي الكراهية»

تصفيق حاد

- تستحقين التصفيق والهتاف أيضًا بوركت جهودك أيتها الفيلسوفة الحسناء.

- حسنًا لمى لا يهم ما تقولين. المهم أني قلت مافي داخلي. أخبريني الآن متى حددتي موعد الزفاف؟ أعلم أنك تتهيئين للزفاف وأن أختك هزار ترسل لك ملابس جميلة من كندا.

-نعم ولكن كيف لك بمتابعة تلك الأمور وأنت تمضين أغلب وقتك خارج المنزل

-كلامك فيه شيء من الصحة. لا يعني غيابي عن البيت فترات طويلة أني لا أعرف أخبارك. المهم أردت أخبارك بما حدث معي في العمل.أرسل في طلبي مدير الشركة بعد التي والذي. لن أطيل عليكِ أبدا إعجابه بعملي ونشاطي وإعجاب العملاء أيضًا وإنجازاتي بالعمل.

obeikandl.com

- أتمنى أن يقف الموضوع عند هذا الحد يا حياة.

- ماذا تقصدين؟!

- الموضوع ليس بحاجة لتفسير. المعروف أن بداية الإعجاب تنتهي بعلاقة شبيهة بالحب.

- هذا ما وصلك من كلامي أي علاقة اجتماعية تفسر بهذه الطريقة؟! على كل أنا متعبة ويجب أن أنام لدي عمل باكرًا وأنت أدعك مع أحلامك وعريسك الغالي يا أم المستقبل.

بعد مرور زمن ليس بالبعيد على نقاشي مع لمى كنت خارج المنزل، سجنت أفكاري في نطاق الحديث عن والدتي وزوجها. هي تلك الفوضى المنتشرة داخل عقلي، لم تكن هناك أفكار مرتبة ترى ماذا فعل بك الزمن مع ذاك الوحش. هل يهتم بك؟ هل يرعاكِ؟ هل وصلتي إلى ما تصبين إليه بعد كل ما قدمتيه من تضحيات لأجله. هي غيمة من الأفكار، لم تمطر إلا البؤس والحزن في داخلي.قررت أن أعرف أين تسكن وأطمئن عليها.تركت أخبارًا عند صديقاتها القدامى، طلبت منهم أن يخبروني في حال عرفوا شيئًا عنها، كان يومًا متعبًا، وأنا بحالة توتر، في داخلي تلك التناقضات من رواسب الحديث مع أختي، لم يكن عندي الرغبة بالعودة للمنزل، تابعت سيري في الطريق وأفكاري تسبقني، تدحرجت أفكاري نحو ذلك العجوز، كنت كلما رأيت في الطريق رجلًا شعره أبيض يحمل نفس

ملامح وجهه تصيبني تلك القشعريرة المرعبة، لو، لم تكن بحياتنا لما حدث هذا معنا ألف لو وألف تمني، ربما كانت أمي في البيت الآن تنتظر عودتي أحدثها بما حدث معي، نتكلم بأمور كثيرة، ما أجمل أن يكون للفتاة أم تنتبه لحالها، لتطورات جسدها الصغير. ليس من الذكور فحسب وهنا شردت روحي مع نفسها في العطلة التي قضيناها في المصيف مع أم صفية وابنتها المهووسة وتوددها الدائم و رغبتها في البقاء بجواري، لمتكتفي بهذا التودد، بل أصبحت تتعمد النوم بقربي، تلتصق بي كثيرًا، أفكار شيطانية تجعلني أوحي لها أني نائمة بعمق، عندي حدس قوي يجعلني أشعر بأي أمر قبل وقوعه، كنت أشعر أنها تبتغي متعة ما، رغم عقدة الذنب التي تلازمني وأنا أتذكر تلك الذكريات لبواكير أنوثتي وماكان يفعله ذاك القريب وتلك الفتاة تشاركني الفراش وتستغل فرصة نومي لتداعبني بتلك الشقاوة، متلمسة الأماكن المحرمة في جسدي.

كنت مستسلمة لتلك الأنامل الرشيقة التي كانت تدرك ماتفعل أيقظت ذكريات اللمس سابق من ذلك القريب الذي كان يداعب جسدي مستغلا صفة القرابة وسنه التي كانت تبعد شكوك والدي عنه، تلك الأنامل أثارت بداخلي نوازع الجنس بصورة مبكرة وكنت أكثر إدراكا من والدي بما كان يحصل، والمشهد تكرر معها، لكنه أخف وطأة لصديقتي بالفراش أنثى تماثلني بالعمر وبالتالي عقدة الذنب أقل، كنت أتصنع الاستغراق بالنوم سامحةً لتلك الأنامل أن تتجرأ أكثر وأكثر حتى تلامس بركاني الأنثوي لأعيش توهج

اللحظة، وهي تخفي تأوهات النشوة، ولما تتصاعد الإثارة لدى الصديقة فتمسك يدي على بركانها، أكون قد وصلت لذروة نشوتي، وتعود عقدة الذنب تلازمني، فأشمئز من تجاوبي لحالة الشذوذ تلك، فأسحب يدي وألتم على جسدي منسحبة من ذلك بأنانية مفرطة، تاركة تلك الصديقة في حالة يرثى لها مما أصابها من الإثارة والصدود، أفقت من ذلك الحوار مع ذاتي الذي طالما تكرر لا أدري كم مشيت وبأي حماقات أتفوه، كم هي حسرة أن تتمنى وجود أم لك وهي على قيد الحياة يخطفها منك شيطان عاقل، ما أبشع هذه الصورة التي سيطرت على تفكيري، عدت للبيت مرهقة، لا أريد شيئا أكثر من النوم، في صباح اليوم التالي بدأت كعادتي شربت قهوتي ونزلت إلى الشركة، لم أر يومها المدير، كنت أجلس وراء المكتب أقوم بعملي ولكن ليس بذلك النشاط المعتاد

هناك محطة وقفت عندها حين تحدثت مع لمى، يبدو أني كنت أختزن داخلي كل تلك الأمور وأتناساها، مجرد وضعها على طاولة الحوار عادت كل الأحداث أمام عيني، ولكن هناك اختلافًا واحدًا هو أني اليوم أحاول أن أجد مبررات لوالدتي وبينما أنا كذلك رن جرس الهاتف،

– الو أهلا بك سيدتي نعم أسجل العنوان، شكرًا لك حسنًا أبلغها سلامك.